بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبد الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين - أما بعد :

فإن هذه النبذة المختصرة - القواعد الأربع - من النبذ المهمة من مقال إمام هذه الدعوة - رحمه الله تعالى - ، وأهميتها تأتي بمعرفة مضادات تلك القواعد الأربعة، وأن الإخلال بهذه القواعد الأربعة ، أو عدم ضبط تلك القواعد يقع معه لبس عظيم في معرفة حال المشركين وحال الموحدين .

والابتلاء وقع بحال أهل التوحيد وبحال أهل الشرك ، والله - جل وعلا - في القرآن بين ما يجب من حقه في توحيده ، وبين الشرك به بياناً عظيماً ، وهذه القواعد الأربع مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة ، ومن معرفة حال العرب كما سيأتي.

فهي قواعد عظيمة تعصم من حفظها وعلم معناها من أن يكون عنده تردد في مسألة الحكم على أهل الإشراك ، وعلى وجوب إخلاص الدين لله -جل وعلا- وكيف يكون ذلك .

* * *

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة وأن يجعلك مباركاً أينما كنت ،

إمام الدعوة - رحمه الله - كعادته في كثير من رسائله يبتدئها بدعاء لمن يقرأ تلك الرسالة ، أو لمن وجهت إليه ، وهذا كما هو معلوم فيه التنبيه على أن مبنى العلم ومبنى الدعوة الرحمة ، الرحمة والتراحم بين المعلم والمتعلم ، والرحمة والتراحم بين الداعية والمدعو ؛ لأن الرحمة في ذلك هي سبب التواصل ، قال -جل وعلا - : ((فبما رحمة من الله لنت لهم)) [آل عمران:159] ، يعني : فبرحمة من الله لنت لهم ، فبرحمة من الله لنت لهم .

و(ما) في هذه الآية صلة لتأكيد الجملة ، وهي التي تسمى الزائدة بزيادة التأكيد : ((فبما رحمة من الله لنت لهم)) ، يعني : فبرحمةٍ من الله لنت لهم ، فبرحمةٍ من الله لنت لهم ، فالدعاء هذا ناتج عن الرحمة ، وهكذا ينبغي على المعلم وعلى الداعية ، وعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، أن يكون راحماً للخلق، أن يكون رحيماً بهم كما وصف الله - جل وعلا - نبيه  بقوله :

((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) [الأنبياء:107] ، وقال : ((بالمؤمنين رؤوف رحيم))] التوبة:128] .

وقال ابن القيم - رحمه الله - في وصف حال الداعي إلى الله مع أهل المعصية وأهل النفور عن الحق ، قال في ذلك :

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما
لو شاء ربك كنت أيضاً مثله

**

**

من خشية الرحمن باكيتان
فالقلب بين أصابع الرحمن

وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر ،

حتى حين توقع الحدود وتطبق ، فهي تطبق على وجه الرحمة لا على وجه الانتقام ؛ رحمة بهذا الذي استحق

تلك العقوبة أن تسلط عليه إبليس والشيطان فجعله مستحقاً لذلك ، كالأسير من أحبابك إذا وقع أسيراً في أيدي العدو .
فهذا التقديم بالدعاء من الإمام - رحمه الله - فيه التنبيه على ذلك ، ودعا وكان فيما دعا أنه سأل الله - جلّ وعلا - أن يجعلنا ممن إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر ، وهؤلاء الثلاثة عنوان السعادة.
]إذا أعطي شكر [لأن العطاء من الله - جلّ وعلا - نعمة ، والله - جلّ وعلا - يحب الشاكرين من عباده ، والشكر يكون بلسان المقال ، ويكون بالعمل، ((أن اشكر لي ولوالديك)) [لقمان:14] بالمقال وبالعمل ، وقوله :
))اعملوا ءال داود شكرا))] سبأ:13] ، هذا من جهة العمل ، وقوله تعالى : ((واشكروا ولا تكفرون))]البقرة:152] هذا من جهة القول والعمل ، ولهذا اختلف أو افترق الشكر عن الحمد، فالشكر يكون عن نعمة ، وأما الحمد فقد يكون لنعمة أو في مقابل نعمة وقد لا يكون ، يكون ثناءً مبتدأً، والشكر يكون باللسان وبالعمل ، وأما الحمد فيكون باللسان دون العمل ، في فروق بينهما معروفة عند أهل العلم .
وهذا مما ينبغي تدبره ، وهو أنّ العبد إذا أعطي عطاءً شَكر عطاء الله - جلّ وعلا - وشُكر العطاء كما ذكرنا بالقول وبالعمل ، أما بالقول فأن ينسب ذلك العطاء إلى من أعطاه، وأن يُثني عليه به، وألاّ يُلتفت فيه إلى غيره، ((وما بكم من نعمة فمن الله)) [النحل:53]، ((يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)) [النحل:83] .

وإذا ابتلي صبر ،

ومن جهة أخرى " جهة العمل " يكون الشكر باستعمال النعم فيما يحب من أنعم بها وأسداها، وهذا مما يحبه الله - جلّ وعلا - بل من عظيم ما يُحب الله;
من العبادات أن يكون العبد شاكراً ولهذا قال : ((وقليل من عبادي الشكور)) [سبأ:13] وقال)) : ; ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً)) [الإسراء:3] ، يعني يا ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً، كان كثير الشكر لله - جل وعلا - ، قال أهل التفسير : " كان إذا أكل الأكلة شكر الله عليها ، وإذا شرب الشربة شكر الله عليها ، وإذا اكتسى شكر الله على ذلك " ، يعني : أن يتبرأ من كل حول وقوة فيما جاءه من النعم أو بما يسرُّه ، وأن يعترف بأنها من الله - جل وعلا - .
وباب الشكر له صلة بالتوحيد ، وكأن الإمام - رحمه الله - حين ذكر الشكر على العطاء ، والصبر على البلاء ، والاستغفار من الذنب ، كأنه نظر إلى حال الموحد ، وخاطبه بما يجب عليه أن يكون معه دائماً ، فإنَّ الموحد أنعم الله عليه بنعمة لا تعدلها نعمة ، ألا وهي أنْ كان على الإسلام الصحيح ، إذا كان على التوحيد الخالص الذي وعد الله أهله بالسعادة في الدنيا والآخرة .
]وإذا ابتلي صبر [ولابدّ للموحد من ابتلاء ، فسأل الله له أنْ إذا ابتُلي صبر، والابتلاء قد يكون من جهة الأقوال التي توجه إليه ، وقد يكون من جهة البدن، وقد يكون من جهة المال أو غير ذلك .

وإذا أذنب استغفر ، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة

قال :) وإذا أذنب استغفر) لأن الموحد لابدّ وأن يكون معه شيء من الإعراض، ولابدّ أن يقع الذنب ، إما من الصغائر وإما من الكبائر ، والله - جلّ وعلا - من أسمائه الغفور ، ولابد أن يظهر أثر ذلك الاسم في بريئته وملكوته ، ولهذا يُحب الله من عبده الموحد المخلص أن يكون دائم الاستغفار، ولابد للموحد من ذلك، والعبد إذا ترك عظيم الاستغفار جاءه الكبر، والكبر يُحبط كثيراً من العمل ؛ لهذا قال هنا : (وإذا أذنب استغفر فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة) .
فإذاً هذه متلازمة في حال كل موحد ، وهي الشكر على العطاء و الصبر على البلاء والاستغفار من الذنب والعصيان، وكلما عظم العبد معرفة بربه كلما عظَّم هذه الثلاث، وكلما عظم التوحيد في القلب عظمت هذه

الثلاث حتى يصير العبد لايرى سوى الله - جلّ وعلا - في استحقاق شيء من أعماله وتصرفاته ، فإن غفل في ذلك كان استغفاره ليس استغفار الذي لا يفقه ، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من مئة مرّة، وفي رواية في الصحيح (أنه كان يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرّة) .
والموحد عليه خطر ، خطر الغرور ، الغرور بأنه من أهل التوحيد أو من المحققين لا تباع السلف ، أو ممن علم هذا العلم ثم لا يكون في قلبه من الخضوع والذل الذي يعلمه الله ، منه ما يكون ذلك سبباً لقبول هذه الوسيلة ، وهي وسيلة التوحيد إلى الله - جلّ وعلا - وشأن الله أعظم ، وطُلب من عباده شيئاً قليلاً ، ولهذا عظم أمر التوحيد وقبح جداً الشرك وما جرّ إليه .

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ، كما قال تعالى : ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) [الذاريات:56] فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة ، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة ، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه : ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))[النساء:48] وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه..

)اعلم أرشدك الله لطاعته ...) هذه المقدمة مدخل لهذه القواعد ، وأول ذلك أن الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام ، وجعل الله - جل وعلا - إبراهيم حنيفاً ، يعني مائلاً عن طريق الشرك إلى التوحيد الخالص ، والحنيفية هي الملة التي مالت عن كل باطل إلى الحق . وابتعدت من كل باطل إلى الحق وهي ملة أبينا إبراهيم - عليه السلام - كما قال - جل وعلا - (ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) [آل عمران:67] وقال - جل وعلا - (إن إبراهيم كان أمةً قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين , شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم)[النحل:120-121]
حقيقة ملة إبراهيم هي تحقيق معنى لا إله إلا الله كما قال - جل وعلا - في سورة الزخرف (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني فإنه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) [الزخرف:26-28] وهذه الكلمة هي كلمة : لا إله إلا الله .
قال : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني) هذه هي كلمة التوحيد ، (إنني براء مما تعبدون) هذا هو نصف النفي ، أو هذا هو النصف الذي هو النفي في كلمة التوحيد ، يعني قول : (لا إله) معناه : (إنني براء مما تعبدون) ، (إلا الله) يعني : (إلا الذي فطرني فإنه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه) ، فأعظم تفسير لكلمة التوحيد هو هذه الآية حيث قال : (إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني) ؛ ولهذا قال أهل العلم: " إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله فيها نفي وفيها إثبات " والنفي فيه البراءة من كل معبود سوى الله - جل وعلا - ومن عبادة كل ما سوى الله - جل وعلا - ؛ لأن عبادة ما سوى الله - جلّ وعلا - باطلة، واثبات العبادة لله - جل وعلا - وحده سبحانه ، يعني : إنزال العبودية الحقة المستحقة في واحد وهو الله - جل و علا - .
هذه هي ملة إبراهيم ، وهذه هي الحنيفية وهي التي أمر الله - جلّ وعلا - نبيه بالاستمساك بها (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً) [النحل:123]
فملة إبراهيم هي التوحيد ، وإذا عرفت هذا فإن العبادة لا تُقبل إلا بالتوحيد وذلك من مثل الطهارة للصلاة ، فإن التوحيد شرط قبول العبادة ، يعني : الإخلاص ، والطهارة شرط صحة الصلاة ، فكما أنه لا تصح الصلاة إلا بالطهارة، فكذلك لاتصح عبادة أحد إلا إذا كان موحداً، ولو كان في جبهته أثر السجود، وكان صائماً

بالنهار قائماً بالليل، فإن شرط قبول ذلك أن يكون موحداً مخلصاً ، قال - جلّ وعلا - ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) [الزمر:65-66] ، وقال - جلّ وعلا - في الكفار: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)

]الفرقان:23] .
فعظيم العبادة وكثرة العبادة إذا لم تكن مع الإخلاص فإنها غير مقبولة كما أن الرجل يصلي صلاة عظيمة يطيل فيها القيام، ويطيل فيها الركوع، ويطيل فيها السجود، ويحسِّنها جداً ، وقد دخل فيها على غير طهارة ، هذه صلاة غير مقبولة بالإجماع ؛ لأن الطهارة شرط صحة الصلاة كما ثبت في الصحيح أن النبي قال : (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) ، (لا صلاة إلا بطهور) ، وهذا شرط متفق عليه ، وهذا تقريب لهذه المسألة العظيمة ، وإلا فإن شرط الإخلاص والتوحيد لقبول العبادة أعظم من شرط الطهارة لقبول الصلاة؛ لأنه إذا صلى مُحدثاً متعمداً فإن في تكفيره خلافاً بين أهل العلم، وأما إذا عبد الله مشركاً فإنه بالإجماع ليس مقبول العبادة، وبالإجماع هو كافر؛ لأنه أشرك بالله - جل وعلا - الشرك الأكبر الذي لا يقبل معه عمل .
إذا تقرر ذلك فإن هذا الأصل يجعل المرء يخاف ويفرح ، يخاف من الشرك وأن يكون من أهله ، ويفرح أن جعله الله - جل وعلا - من أهل التوحيد ، فرحه بأن جعله الله - سبحانه - من أهل التوحيد يوجب شكر ذلك والمحافظة عليه ، وخوفه وهربه من أن يكون من أهل الشرك أو أن يأتيه بعض الشرك ، يجعله دائم الحذر أن يعتري عبادته أو عقيدته أو أقواله شيء من الشركيات ؛ لأن الشركيات إذا كانت من الشرك الأكبر فإنها مُحبطة للعمل ، وإذا كانت من الشرك الأصغر فإنها أعظم من البدع والمعاصي المختلفة ، - يعني : من حيث الجنس - ، وهذا لا شك يجعل المرء الخائف الراجي - يعني الخائف الفرح - الفرح بالتوحيد الخائف من الشرك ، يجعله يطلب هذه القواعد التي تجعله في يقين من أمره .
والتوحيد والشرك في دعوة الإمام المصلح - رحمه الله - لمن تأمله قد يكون معه شيء من التردد أو الشك في صحة ما جاء به الشيخ من جهة تقرير المسائل ، ومن جهة الحُكم على أهل الشرك والإشراك ؛ لأن المسألة عظيمة أن يكون أحد ممن يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويصلي ويزكي ويصوم ويحج ويتعبد ويكون من أهل العبادات العظيمة ، ومن أهل الصلاح ، كما يقول الناس ، ثم يُقال إن عمله الذي عمله من الشركيات ، أو لما لم يكفر بالطاغوت يجعل عمله هذا كلا شيء ، هذه عظيمة وكيف تستقر في النفوس ، فربما حدث من جهة النظر في الناس الذين يتعبدون العبادات العظيمة وهم واقعون في الشرك ربما تعاظم بعض الناس أن يكونوا من المشركين ، يعني : أن يكون أولئك من المشركين .
وهذه القواعد لتأصيل هذه المسألة العظيمة وهي أن الأمر ينظر فيه إلى حق الله، وإنما أتى الخلل من جهة نظر الناس إلى حق المخلوق ، إلى واقع المخلوق ، ولكن لو نظروا إلى حق الله - جلّ وعلا - الذي خلق الإنسان فسواه وعدله ، والذي خلق السماوات على هذا النحو العجيب وهذه الأرض ، وأقام الدلائل على وحدانيته في ربوبيته وجعل ذلك في النفس وفي الآفاق وفيما حوله ، يجعل أنه لا حجة لمشرك على الله - جل وعلا - ولكن الله - سبحانه وتعالى - بعث الرسل رحمة لإقامة الحجة ، ولإعلان النذير .

* * *

القاعدة الأولى : أن تعلم أنّ الكفار الذين قاتلهم رسول الله  مُقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يُدخلهم في الإسلام ، والدليل قوله تعالى : (قل من يرزقكم من السمآء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يُدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) [يونس:31]...

]القاعدة الأولى : [... أن توحيد الربوبية لا يُدخل أحداً في الإسلام ، توحيد الربوبية ليس هو المطلوب، فإن معرفة العرب بأن الله - جل وعلا - هو الخالق وهو الرزاق وحده وهو المحيي وحده وهو المميت وحده وهو الذي يجير ولا يجار عليه ، وهو الذي إليه الأمر وهو الذي ينزل المطر وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، هذا كله يقرّون بأن الذي سخر ذلك وخلقه هو الله - جل وعلا - ومع ذلك ما نفعهم ولم يجعلهم الله - جل وعلا - بذلك من أهل الإسلام قال - جل وعلا - : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

[يوسف:106] (وما يؤمن أكثرهم بالله) يعني : الإيمان بربوبيته ، (إلا وهم مشركون) في عبادته .
تنظر إلى حال كفار العرب ، مقرّون بأفراد الربوبية بأكثر أفراد الربوبية كما قال - جل وعلا - : (قل من يرزقكم من السمآء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يُدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)
فسيقولون الله يعني الذي يفعل هذه الأشياء هو الله وحده (فقل أفلا تتقون) يعني: أتقولون ذلك وتقرّون بوحدانيته في الربوبية فلا تتقونه في عبادته وحده وترك الإشراك به .
فأقام عليهم الحجة بما أقروا به على ما أنكروه وهذه هي طريقة القرآن في إقامة الحجة على المشركين، فإن من براهين التوحيد - توحيد العبادة - أن تقام الحجة بتوحيد الربوبية ، لأن من كان هو الفاعل وحده يعني هو الخالق وحده والرزاق وحده إلى آخر أفراد الربوبية فإنه هو الذي يستحق العبادة دون ما سواه ولهذا قال سبحانه منكراً على المشركين : (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون) [الأعراف:191] وقال سبحانه : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير أما يُشركون) [النمل:59] ووصف الذين جعلهم المشركون آلهة بأنهم عاجزون وليس لهم قدرة وليس لهم خلق وليس لهم صفات تجعل أولئك يتوجهون إليهم)وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) [الحج:73] هذا مثل الذين توجهوا إليهم بالعبادة وإقرار المشركين بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام.
نستنتج من ذلك أن إقرار من بعدهم بالربوبية لا يعني أنهم مؤمنون فإذا أتى آت وقال : أنا مؤمن بأن الله هو الرب وهو الخالق وهو ربي وهو الذي يرزقني وهو الذي أحياني وهو الذي يميتني ، هذا لا يُعد مؤمناً الإيمان الشرعي ، يعني : لا يعد مسلماً حتى يأتي بالتوحيد .
لهذا غلط المتكلمون حينما عرّفوا الإله بأنه القادر على الاختراع ، قالوا : الإله هو القادر على الاختراع ، فعندهم معنى لا إله إلا الله راجع إلى الربوبية ، وهذا أعظم غلط على دين الإسلام الذي غلط به المتكلمون على الدين وعلى الملة حيث جعلوا الابتلاء واقعاً في الربوبية ، فإذا أيقن بأن الموجد للأشياء والخالق لها هو الله فإنه يكون عندهم مؤمناً مسلماً ، وهذا غير معنى الألوهية لأن لا إله إلا الله معناها لا معبود حق إلا الله - جل وعلا - فمعناها راجع إلى العبودية لا إلى الربوبية .
إذاً مراد الشيخ من هذه القاعدة المهمة اليقينية ؛ لأن هذه القاعدة اليقينية من حال الكفار وحال المشركين في أنهم مقرون بتوحيد الربوبية ولم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام ولم يجعل لهم حقاً لأنهم أشركوا مع الله - جل وعلا - آلهة أخرى وعبدوا آلهتهم الباطلة ، وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً، فإذا نظرنا في هذا الزمن وفي زمن الشيخ، وما قبله وما بعده في أن هناك من يوقن بالربوبية ولكنه يشرك في العبادة فإن ذلك لا ينفعه كحال الأولين ، لأن القاعدة أن مشركي العرب كانوا يوقنون بالربوبية، واليوم قد يأتي على بعض النفوس ضعف إذا سمع من يقول: إن شاء الله ، أو سمع من يذكر الله - جل وعلا - أو يقول عن الله هو ربه وهو مولاه ، أو نحو ذلك ، ظنه مسلماً وقنّع منه بذلك ، وهذا لم يقع الابتلاء به أصلا ، بل لابد أن يكون موحداً في عبادته ، يعني : يعبد الله بما جاء به المصطفى  ويكون متبرئً خالصاً من الشرك وأهله .

* * *

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة . فدليل القربة قوله تعالى :(والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) [الزمر:3].

)القاعدة الثانية) : هذه القاعدة الثانية في بيان حال المشركين في عبادتهم ، عبدوا آلهة مع الله - جل وعلا - ومن دونه ، ماذا يقصدون بهذه العبادة ؟ هل يقولون هي آلهة استقلالية، أم أنها وسائط ؟
هذه القاعدة أفادت بأنهم إنما كانوا يعبدون غير الله - جل وعلا - على جهة الوساطة ، على جهة القربة أو على جهة الشفاعة ، يعني : يقولون إن آلهتهم الباطلة تقربهم إلى الله أو ترفع حوائجهم إلى الله - جل وعلا - أو

يقولون إنها تشفع لهم عند الله - جل وعلا - ، يعني : أن مشركي العرب لم يكونوا يطلبون من الآلهة استقلالاً وإنما كانوا يطلبون من الآلهة على وجه الوساطة ، وهذه الوساطة من جهة القربى ومن جهة الزلفى .
والجهة الثانية جهة الشفاعة كما ذكر - رحمه الله - قال : (فدليل القربة قوله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) .
قال: (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعني : آلهة ، (ما نعبدهم) يعني : يقولون (ما نعبدهم إلا) هذا حصر يسمى عند علماء البلاغة حصر قلب إضافي ، (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) يعني :
ما نعبدهم لعلة من العلل إلاّ لأجل التقريب ، فهم حصروا ما أرادوا في القربى من الله - جل وعلا - فهم أرادوا ما عند الله - جل وعلا - ، فإذاً حين توجهوا لهذه الآلهة الباطلة أرادوا ما عند الله ولم يطلبوا منها استقلالاً وإنما أرادوها زلفى وقربى إلى الله - جل وعلا - قال : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فأرادوا بذلك القرب .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يونس:18].....

)ودليل الشفاعة قوله - جل وعلا - (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) ، وذلك يعني الشفاعة : أن يطلبوا من الله - جل وعلا - لهم الحوائج ؛ لأن معنى الشفاعة أن يضم المطلوب منه طلبه إلى الطالب فيرفعه إلى من عنده الأمر ، هذا معنى الشفاعة .
)ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يعني : سيكونون طالبين لنا ما نريد والله - جل وعلا - لا يرد شفاعتهم لأنهم مقربون عنده وأصل شرك العالم كان في جميع الفئات والطوائف كان على أحد جهتين :
أما الجهة الأولى : فهو الشرك بالاعتقاد بروحانيات الكواكب كما كان شرك قوم إبراهيم عليه السلام ، فإن إبراهيم أتى إلى قوم يعبدون الأصنام التي هي مصورة على صور روحانية الكواكب ، الكواكب الخاصة التي يعتقدون أن لها تأثيراً في الملكوت .
عبدوا الأصنام أو الأوثان لأن أرواح تلك الكواكب تحل فيها، والشياطين تحل في تلك الأصنام والأوثان وتخاطبهم وربما حصّلت لهم بعض ما يريدون فوقع الأمر بأن أشركوا وزادوا على الشرك على اعتقاد أن الكواكب هي التي تفعل ، وروحانية الكوكب هي التي تخاطب ، قال - جل وعلا - : (وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي) [الأنعام:75-76]، والعلماء اختلفوا هل كان ناظرا أم مناظراً والصحيح الذي يضعف غيره أن إبراهيم عليه السلام كان في قوله: (هذا ربي) كان مناظراً لا ناظراً .
والنوع الثاني من أنواع الشرك : شرك قوم نوح عليه السلام وهو الشرك من جهة الاعتقاد في روحانية وأرواح الصالحين . قال تعالى: (وقالوا لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن ودّا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) [نوح:23] وثبت في صحيح البخاري من حديث عطاء عن ابن عباس أنه قال : " هذه أسماء رجال صالحين كانت في قوم نوح ووقع الشرك بهؤلاء الرجال لأنهم صالحون ".
العرب ورثوا شركَ الشرك بالصالحين فعبدوا أصناما متعددة وأوثانًا، عبدوا اللات، واللات كان مكانًا، كان قبرًا تحل فيه روحانية ذاك كما يعتقدون ومثلوا عليه صنما فصاروا يعبدونه وهي شياطين تتلاعب بهم وكذلك العزى ، والعزى شجرة، ومناة صخرة وكان عند الشجرة رجل صالح يتعبد وكان عند مناة [رجل] صالح يتعبد ، وجعلوا الصالحين وأرواح الصالحين والاعتقاد فيهم ، وجعلوا أولئك أولياء ، جعلوا ذلك سببا لكي يرفع أولئك الحوائج لهم إلى الله
-جل وعلا - .
إذا تأملت حال العرب وجدت أن الشرك حصل من العرب كما أراد الشيخ - رحمه الله - تقريره في هذه القاعدة الثانية أن الشرك حصل من العرب بأناس صالحين كما سيأتي أو أن الشرك وقع بالآلهة لأجل طلب القربى و الشفاعة لا لأجل أن هذه مستقلة لها شيء من الربوبية أو لها شيء من الألوهية الاستقلالية ، لا !

ولكن لها ألوهية على جهة التبع تُعبد لكن لأنها واسطة وليست آلهة مستقلة؛ ولهذا قال - جل وعلا -:) أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) [ص:5] فإنهم يعتقدون أن هذه الآلهة وسائط على جهة القربى و الشفاعة .

والشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية وشفاعة مثبتة .
فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . والدليل قوله تعالى : (يا أيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) [البقرة:254]
والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله ، والشافع مُكرِم بالشفاعة ، والمشفوع له مَن رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى :) من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) [البقرة:255].....

الشفاعة في الكتاب والسنة في النصوص نوعان : شفاعة منفية وشفاعة مثبته .
والشفاعة المنفية كما ذكر الإمام رحمه الله هي الشفاعة فيما لا يقدر عليه إلا الله - جل وعلا ، - الشفاعة في مغفرة الذنب ممن لايملك ذلك، الشفاعة بمعنى طلب الدعاء ، شفع يعني طلب والشفاعة هي الطلب والمطلوب منه إما أن يكون حيا حاضرا وإما أن يكون ميتا، والحي الحاضر في الدنيا أو في عرصات القيامة جاءت الأدلة بجواز طلب الشفاعة منه كما جاءت بذلك النصوص الكثيرة .
أما الميت فإنه ليس في دار عمل وليس في دار طلب وليس عند الله - جل وعلا - بالمكان الذي يطلب فيعطى ما طلبه ولكن تطلب الشفاعة من الله - جل وعلا - فالشفاعة المنفية هي التي نفاها الله - جل وعلا - في كتابه كما في قوله:) ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) [غافر:18] وكما قال : (ولا خُلّة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) [البقرة:254] وكما قال - جل وعلا - : (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) [الأنعام:51] ، ونحو ذلك من الآيات التي فيها نفي الشفاعة ، هذه الشفاعة المنفية هي الشفاعة التي تكون من غير إذن الله ولا رضاه وتكون بطلبها ممن لم يُمَكن من ذلك . طلب ذلك من ميت مهما كانت درجته فإنه لم يُمَكن من ذلك ، لم يمكن أن يطلب الشفاعة ؛ ولهذا يكون طلب الشفاعة من الله - جل وعلا - ، وهذه هي الشفاعة النافعة) الشفاعة المثبتة) .
وهذا استطراد من الشيخ - رحمه الله - في بيان معنى الشفاعة في أن الشفاعة الحقة والرد على الذين تعلقوا بالشفاعة الباطلة، وتفصيلها معروف في موضعه من كتاب التوحيد ومن كتب أهل السنة في الشفاعة .
ملخص ذلك : أن الشفاعة المثبتة هي التي توفرت فيها الشروط الشرعية، وأعظم هذه الشروط شرطا الإذن والرضى .
الإذن للشافع أن يشفع ، والرضى عن الشافع , والرضى عن المشفوع له ، قال - جل وعلا - (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) [النجم:26] ، وقال) : من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)] البقرة:255] ، وقال - جل وعلا - : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) [الأنبياء:28] ، وقال : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)]الزخرف:86] .
فإذاً الشفاعة المثبتة هي النافعة لكن تنفع بشرطين : الإذن والرضى .
الرضى عن الشافع ، وأن يكون ممن شهد بالحق وهو يعلم ، والرضى عن المشفوع له بأن يكون من أهل التوحيد ؛ ولهذا ثبت في الصحيح أن أباهريرة  سأل النبي  فقال : يا رسول الله ، من أحقُّ الناس بشفاعتك ، أو قال : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟
قال : (لقد علمت أنه لن يسألني أحد قبلك لما أعلم من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه) .
قال العلماء : " معنى قولـه (أسعد الناس) ، يعنـي : سعيد الناس " ، فأفعل التفضيل هنـا ليست على بابها في المفاضلة , وإنما هي بمعنى سعيد الناس ، كقوله - جل وعلا - : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) [الفرقان:24] ، والنار ليس فيها مقيل حسن .

فإذاً الشفاعة إنما هي لأهل الإخلاص ، الشفاعة شفاعة النبي  وشفاعة الملائكة وشفاعة الصالحين ، وشفاعة العلماء يوم القيامة إنما هي لأهل الإخلاص، وأهل الإخلاص يطلبونها من الله ، فيقول المخلص : اللهم شفّع فيّ رسولك  يوم القيامة ، اللهم شفّع فيّ ملائكتك ، اللهم شفّع فيّ العلماء الصالحين ، اللهم شفّع فيّ عبادك الذين تحبهم ويحبونك ، ونحو ذلك من الألفاظ .

فتطلب الشفاعة من الله - جل وعلا -، ولا تطلب الشفاعة من المخلوق، لمَ ؟

لأن الشفاعة طلب ، الشفاعة طلب الدعاء ، إذا قال أستشفع يعني : أطلب منك الدعاء ، أطلب منك رفع حاجتي ، وإذا رجع أمر الشفاعة إلى الطلب صارت الشفاعة من أنواع الدعاء , فصار الطلب أو دعوة غير الله شركاً أكبر ؛ ولهذا نقول : طلب الشفاعة من غير الله شرك أكبر ، من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، يعني من الأموات ونحو ذلك ، فإن هذا شرك أكبر ؛ لأنها دعاء ، والدعاء يجب أن يكون مخلصاً فيه لله - جل وعلا - .

* * *

القاعدة الثالثة : أن النبي  ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم : منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يفرق بينهم. والدليل قوله تعالى :) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الأنفال:39] .

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : (ومن ءاياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) [فصلت:37] .

ودليل الملائكة قوله تعالى : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) [آل عمران:80].

)القاعدة الثالثة) : هذه القاعدة فيها مقدمة ونتيجة ، أما المقدمة فهي راجعة إلى معرفة حال العرب بما أخبر الله - جل وعلا - عنهم في عباداتهم وآلهة العرب الباطلة التي كانوا يعبدون كانت متنوعة ، فمنهم من كان يعبد الشمس والقمر .

وذكر لك دليل ذلك وهو قوله تعالى : (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) وهذا نوع من العرب طائفة كانت تعبد الشمس والقمر ومن غير العرب أيضاً.

ومنهم من كان يعبد الشجر والحجر ، ومنهم من كان يعبد الملائكة كما قال - جل وعلا - : (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أن ولينا من دونهم) [سبأ:40-41] .

ودليل الأنبياء قوله تعالى : (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب) [المائدة:116].

ودليل الصالحين قوله تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) [الإسراء:57]

وكان من الناس من العرب وغيرهم من يشرك بالملائكة ومنهم من كان يشرك بالأنبياء ، عيسى عليه السلام قال - جل وعلا - في حقه : (ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب)

فأُشرك بعيسى عليه السلام وأشرك بالصالحين ، قال - جل وعلا - : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها) [الأنبياء:101] .
وقد جاء في سبب نزولها أنه لما نزل قول الله - جل وعلا - : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء ءالهة ما وردوها) [الأنبياء:98-99] فرح العرب بذلك وقالوا سنكون مع عيسى وسنكون مع العُزير وسنكون مع مع ، ثم نزل قول الله - جل وعلا - : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها).

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى : (أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) [النجم:19-20].
وحديث أبي واقد الليثي قال : (خرجنا مع النبي صلي الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كم لهم ذات أنواط) الحديث.....

فتوجهوا للصالحين بالعبادات المختلفة للرجال من الأنبياء والرسل والصالحين ، وتوجهوا أيضاً للأشجار والأحجار (أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) توجهوا إلى الشياطين والجن (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) [سبأ:41] ، (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) [الجن:6] .
هذه أصناف عبادات العرب جاءت في القرآن وحال العرب ظاهرٌ فيها .
هل فرق الله - جل وعلا - في أمره لنبيه بين فئة وأخرى ، فقال لهم : من عبد الأشجار والأحجار والأصنام والشمس والقمر قاتلوه وأما من جعل الصالحين والأنبياء شفعاء وجعل الصالحين والأنبياء قربى وزلفى إلى الله - جل وعلا - فهؤلاء لا تقاتلوهم ؟
لم يأت هذا التفريق بل جاء الأمر واحداً وحكم على الجميع بأنهم كفار مشركون وقوتلوا ، وأمر الله - جل وعلا - بقتال جميع تلك الفئات وجميع ألئك المشركين ، جاء الأمر بقتالهم بدون تفريق : (وقاتلوا المشركين كآفة كما يقاتلونكم كافة) [التوبة:36] وهذا عام في الجميع وهذه هي النتيجة فما قبلها مقدمة، وإذا كان كذلك كان لاميزة أو لافرق بين أن يعبد نبياً أو أن يعبد حجراً وشجراً أو أن يعبد جنياً أو أن يعبد ملكاً الحال واحدة ، فمن أتى في هذا الزمان وفرق وقال : الصالحون إنما هم أولياء ولهم مقام عند الله والأنبياء لهم مقام وجاه فإذا استشفعنا بهم فإن لهم جاها عند الله - جل وعلا - فنقول : وأي فرق بين عبادة هؤلاء الصالحين والتوجه إليهم وبين عبادة من عبد عيسى أو عبد العُزير أو عبد الصالحين الذين كانوا يعبدون ؟ أي فرق هذا وهذا ؟! لاشك أن الحكم على الجميع واحد.
وهذه قاعدة يقينية من أنه لافرق بين هذا وهذا لأن المدار على عبودية القلب ، فإذا قام في القلب التنديد والإشراك بالله - جل وعلا - فسواء أكان المشرك به صالحاً أم طالحاً ، كان نبياً أم لم يكن نبياً ، كان شجراً أم كان ملكاً ، الأمر واحد ، لأن القلب يجب أن تكون عبوديته لله وحده وأن يكون دينه لله وحده : (ألا لله الدين الخالص) [الزمر:3]، (قل الله أعبد مخلصاً له ديني) [الزمر:14] .
وهذه العبودية من جهة العابد لا ينظر فيها إلى من توجه إليه ، فإن توجه لله الواحد الأحد فهو مخلص موحد ، وإن توجه إلى غيره فإنه مشرك مهما كان ذلك الغير ؛ ولهذا قال الله - جل وعلا) : - وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) [الجن:18] ، وقوله: (أحداً) يعم الجميع كما ذكرنا ذلك مراراً ، وكقوله - جل وعلا - : (ومن يدع مع الله إلها ءاخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) [المؤمنون:117] ، قال - جل وعلا - هنا : (ومن يدع مع الله إلها ءاخر لا برهان له به) ، هذه صفة من عبد غير الله - جل وعلا - في أنه لا برهان له بما عبد وليس لها مفهوم من أن هناك ما يُعبد وثم برهان عليه ، بل كل من عبد غير الله ودعا غير الله فإنه لا برهان له على أحقية ذلك الغير بالعبادة أو التوجه ، فإذا نظرنا في هذا الزمن الذين يعبدون الأولياء ويعبدون القبور والمشاهد ويتوجهون إليها (والأنبياء والرسل) ، ويقولن مقامات ونحو ذلك للصحابة ، وفي كل بلد ثَمّ ضريح ، ويتوجه الناس إليه ، ويشركون به ، يقولون هذه ليست هي عبادة المشركين الأولين ، لمَ ؟ قالوا لأن هذه عبادة صالحين وأولئك إنما عبدوا الأصنام ، عبدوا أحجاراً ، كيف

يكون ذلك ، وقد قال - جل وعلا - في وصف أولئك المعبودين : (أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) [النحل:21].
قال طائفة من المفسرين كأبي حيان في تفسيره البحر المحيط ، وقال غيره : إن هذه الآية فيمن يُبعث لأن الله قال : (أموات غير أحياء) والذي يوصف بأنه ميت ، من كان حياً قبل ذلك ، والأصنام التي هي من الأحجار والأشجار ونحو ذلك لا تُوصف بأنها أموات غير أحياء ، وإنما الذي يوصف بذلك من كانت تحله الحياة ثم صار ميتاً ، فإنه يقال أموات غير أحياء ، وبيّن ذلك أكثر حين قال :
)وما يشعرون أيان يبعثون) فإنها في حق من يبعث يوم القيامة للقاء الله - جل وعلا - .
فإذاً هذا الذي يحتج به مشركوا هذا الزمان ومشركوا زمان الشيخ - رحمه الله - وهذا في كل مكان يقولون إنما توجهنا إلى صالحين ، وأولئك الأولون إنما توجهوا أيضاً إلى صالحين ، قالوا : نطلب الوساطة ، ما طلبنا منهم استقلالاً .
نقول والأولون أيضاً طلبوا الواسطة والقربة للشفاعة ولم يطلبوا الاستقلال ، فالحال هي الحال وإن تغيرت الأسماء وتغيرت الدعاوي ، فالحال هي الحال وما أشبه الليلة بالبارحة .

* * *

القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، ومشركوا زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة .
والدليل قوله تعالى : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) [العنكبوت:65].

)القاعدة الرابعة) : هذه نتيجة ، قاعدة هي نتيجة لما سبق ، يعني : مترتبة على ما سبق.
إذا تقرر أن المشركين في هذا الزمان من جنس المشركين في كل زمان من جنس مشركي الجاهلية وإن كانوا ينتسبون إلى الملة والإسلام ، ولهم صلوات ولهم تعبدات ، إذا كانوا من جنسهم والشرك الذي فعلوه هو الذي فعله الأولون فربما زادت الحال ، وهو الذي بينه الشيخ في هذه القاعدة ، في أن مشركي هذا الزمان أغلظ شركاً من مشركي أهل الجاهلية ، لم ؟
لأن الله - جل وعلا - وصف أهل الجاهلية بأنهم يشركون في الرخاء ، وأما في الشدة فإنهم يوحدون ، قال - جل وعلا - : (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون) [النحل:53] ، (فإليه) يعني : دون ما سواه (فإليه تجئرون . ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون) [النحل:54] .
وقال - جل وعلا - في بيان حالهم في البحر : (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) [يونس:22] ، وقال - جل وعلا - : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)، وفي الآية الأخرى : (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور) [لقمان:32] ، إذا تأملت الحال والحال ، فؤلائك يشركون في حال الرخاء ، وأما إذا مستهم البأساء ومستهم الضراء فإنهم يخلصون ويوحدون ، دعوا الله مخلصين له الدين ، أما مشركوا هذه الأزمنة فإنهم إذا مسهم الضر فزعوا إلى العيدروس أو إلى الحسين أو إلى البدوي أو إلى المرغناني أو إلى ... ، إلى آخر أنواع الناس أو الموتى الذين يتوجهون إليهم.
إذا مستهم الضراء فزعوا إلى أشجار ، إلى أحجار ونحو ذلك ، وهذا لا شك أنه أعظم من شرك الأولياء لأنهم يشركون في حالين ، والمشركون الأولون يشركون في حال واحدة ويتذكرون في الحال الثانية ، ولكن من يفقه هذا ومن يفهم هذا ومن يَخِفُّ عليه هذا الأمر حتى يكون يقينياً عنده لا مراء فيه ولا لبس، لأن بعض

الناس قد يقول : هؤلاء يصلون ويزكون ويصومون فكيف يكونون أغلظ شركاً من الأولين ؟
نقول : العمدة على أصل الدين ؛ لأن هذه العبادة بلا توحيد لا تنفع كما ذكرنا في أول الكلام ، كما لا تنفع الصلاة بلا طهارة ، فإذا كانت هناك عبادات عظيمة مع الشرك فإنها لا تنفع ولا تقبل ، فكيف إذا كان يشرك في حال الرخاء وفي حال الشدة.
وقد ذكر بعض العلماء أنه لقي رجلاً من أهل الطائف قبل انتشار الدعوة هناك ومعرفة الناس بالدعوة والتوحيد فقال له : هؤلاء أهل الطائف إذا جاءتهم شدة فزعوا إلى ابن عباس ولا يعرفون الله . فقال الآخر له : معرفة ابن عباس تكفي .
وهذا نوع من أنواع الشركيات التي تغلغلت في النفوس ، نسوا معها الله - جل وعلا - في الرخاء وفي الشدة إلا ما ندر ، وهذا كثير كثير اليوم فحرك ترى، والناس في عجب في هذا الأمر والله - جل وعلا - أنعم علينا في هذه البلاد أننا لا نرى ولا نسمع ما يقلقنا من هذه الأمور الشركية والكفر الأكبر والشرك الأكبر بالله - جل وعلا - ، ومن ذهب إلى البلاد التي تكثر فيها الشركيات كبعض جهات مصر وبعض جهات السودان وأفريقيا وبعض جهات باكستان والهند والعراق وسوريا ونحو ذلك لرأى عجباً والناس يتوجهون إلى هذه الأضرحة وإلى مدافن الأولياء بل وغير الأولياء ، ويعتقدون فيهم اعتقادات جعلوا لهم نصيباً من الإلهية ، والله - جل وعلا - له الحق الأعظم في إخلاص الدين له .
وأعظم ما يستحق - جل وعلا - أن يعبّد القلب له وأن لا تكون ثم عبادة إلا له سبحانه دون ما سواه ، كما قال - جل وعلا - : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً) [الكهف:110] .
وقال - جل وعلا - في الحديث القدسي : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) .
وإذ كان هذا في الرياء يقصد المرء بالعمل غير الله - جل وعلا - يقصد رؤية فلان ، فكيف بالتوجه بالعبادة بغير الله - جل وعلا - كأن يدعوا غير الله أو أن يستغيث بغير الله أو أن ينذر لغير الله أو أن يذبح لغير الله أو أن يستعيذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أو أن يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، التوجه إلى الموتى والاعتقاد فيهم ويسمون ذلك (السر) يُقال روح السيد فيها سر ، ولهذا يجعلون مكان الروح كلمة السر فيقولون هذا له سر وقدس الله سره ، لأنهم يجعلون لأرواح أولئك أسرار وروحه ليس فيها سر ، إلا سر صُنعها وخَلقها من الله - جل وعلا - .
أما أنها تغيث من استغاث بها أو تعطي من طلب منها ، فهذا كله ليس إلا إلى الله - جل وعلا - : (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب)] البقرة:166] وقال - جل وعلا - مخبراً عن حال الكفار في النار : (تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين) [الشعراء:97-98] .
قال العلماء : ما سووهم برب العالمين في أنهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون وإنما سووهم برب العالمين في العبادة ، في أن توجهوا لهم ببعض العبادة فصاروا مسوِّين لهذه الآلهة الباطلة بالله - جل وعلا - في استحقاق العبادة بأنهم عبدوا الله وعبدوا غيره فساووا الخلق بالخالق - جل وعلا - .
وهذا أبشع ما يكون من الظلم وأقبح ما يكون من الاعتداء على حق الله - جل وعلا - إذ حقه سبحانه وتعالى إجلاله وتعظيمه وتوحيده والإخلاص له والاعتراف له بكل كمال ووصفه - جل وعلا - بنعوت الجمال والجلال والكمال وسلب رؤية النفس وأنه ليس ثَمّ خير إلا منه سبحانه وليس ثَمّ اندفاع شر إلا منه سبحانه ، فها نحن إنما نتقلب بفضل الله وبنعمته فهذا الأمر إنما يعود إلى أصل تلك الدعوات الثلاث ، نسأل الله - جل وعلا - أن يجعلنا ممن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

تمت بحمد الله تعالى ومنه وفضله ،
وأسأل الله أن يحفظ شيخنا صالح بن عبد العزيز
آل الشيخ ، وأن يجزيه خيراً عن الموحدين
وينفع بعلمه و يوفقه لكل خير
وصلى الله على نبينا محمد

وعلى آله و صحبه
و سلم.

أخوكم المحب أبو عبد الله